

ليوناردو دافينشي حاول الطيران وصنع أول إنسان آلي في التاريخ

أسرار فنان أعاد اكتشاف العالم وجمعت عبقريته العلم بالفن



فنان وعالم

بينما يتحكم النصف الأيمن من المخ في تعبيرات الوجه في الجهة اليسرى، وحيث أن نصف المخ الأيمن أقوى من الأيسر فيما يتعلق باستيعاب المشاعر، فإن هذه المشاعر والأحاسيس تظهر بصورة أوضح على الجانب الأيسر من الوجه، وفي العادة لا نلاحظ الفرق؛ لأننا ننظر إلى الوجه بأكملها.

ويبدو أن ليوناردو كان على علم بهذه التأثيرات الدقيقة ونفذها بالفعل كي يظهر وجه الموناليزا على نحو يتعدى فهمه. لقد أفرط ليوناردو في تصوير الفروق الطبيعية لنصفي الوجه، بحيث لا يسع المتلقي إلا أن يخمن فيما تفكر السيدة الشابة أو بما تشعر. ولا شك أن هذه اللوحة ستبقى مثالا حيا يعكس حياة رجل مولع بالألغاز، فمذكراته تضم العديد من التلاعب الذي بالكلمات، وقد عرف عنه ولعه باستخدام الشفرة في تدوين مذكراته حماية لها من الفضوليين، ولعل هذا الأمر هو ما أضفى المزيد من الغموض حول حياته وإنجازاته.

دافينشي صمم العديد من الأجهزة والآلات بدءاً من آلات قص القماش، إلى المطارق وآلات رفع المياه وغيرها

يحيى مؤلف الكتاب سر ابتسامته الموناليزا إلى تفسير علمي له علاقة باهتمامات ليوناردو دافينشي بعلم التشريح والأعصاب، ويرى أن دافينشي قد وصل إلى نتائج متقدمة في اكتشافاته حولها. يقول كلاين "إن المخ مقسم إلى نصفين، يخاطب كل نصف منهما نصف الجسم بصورة عكسية، فنصف المخ الأيسر يتحكم في عضلات الوجه اليمنى،



لوحة استفاد راسها من علم التشريح

هي تلك التي كتبها "فالتر باتر" الناقد الفني الإنكليزي الشهير، والذي يرى أن الموناليزا تمثل النموذج الأصلي للأنوثة، وأنها القوة التي سبقت الخليقة، والتي سوف تدوم بعدها كما يقول. لقد دارت أسئلة كثيرة حول صاحبة الوجه المرسوم في الصورة ولم تتفق الآراء حول هذا السؤال حتى اليوم، هل هي لسيدة من فلورنسا اسمها ليزا جيرارديني؟ أم هي محظية تدعى إيزابيلا جوليندا؟ أم أنها صورة شخصية لليوناردو دافينشي تخفيها في هيئة امرأة؟

طالست هذه الأسرار والاستنتاجات نظرة السيدة وابتسامتها المميزة. لقد تمكن ليوناردو من أن يتحكم بمهارة وعبقرية في قسومات الموناليزا، وكذلك في مشاعر المتلقي في أن واحد، فقسومات السيدة الشابة على سبيل المثال ليست متناسقة؛ هي ترفع زاوية فمها اليسرى بصورة أعلى؛ ومن ثم فإن الناحيتين تنتشران حالة مزاجية مختلفة؛ فإذا قمنا بإخفاء نصف وجه الموناليزا الأيسر،

الفن في جامعة لوس أنجلوس، والذي يؤمن إيماناً قاطعاً بأن هناك العديد من الأمور والأسرار التي لم تكتشف بعد بين أوراق دافينشي. يقول بيدريتي "إن ملامح الدرع تشير إلى أنه قام ببناء محارب يكامل تسليحه، وربط بين أعضائه بحبال، كما لو أنه أراد أن يثبت فيه الحياة، ويرى بيدريتي أن الرسوم تؤكد لنا أن دافينشي قد فكر بالفعل في صناعة إنسان آلي".

سر الموناليزا

انتشرت الكثير من الأساطير حول لوحة الموناليزا، وهي العمل الفني الأبرز في تاريخ ليوناردو، إن لم يكن في تاريخ الفن العالمي على الإطلاق، حتى أصبحت الحكايات التي يتم تداولها حول هذه اللوحة أكثر روعة من اللوحة نفسها. إن من يبحث في المصادر الخاصة بهذه اللوحة ينصرون أن دافينشي يسبح في عالم الخيال، ولقد كانت أولى الطلائع حول سحر الموناليزا وأكثرها جاذبية

يختلف البعض حتى اليوم حول اعتبار ليوناردو دافينشي عالماً، إذ هناك من يرى أن هذا الرسام القادم من مدينة فينشي الإيطالية كان فناناً فذاً اشتغل أحياناً بالعلوم، بينما يرى آخرون أنه كان عالماً في المقام الأول، بل ربما أول العلماء، فهو يعتبر بالنسبة إلى البعض رائداً في البحث العلمي الحديث على الإطلاق.

يقول الكاتب "بدأت الموجة الأولى من الانبهار بالعبقري الإيطالي تتزايد قرب نهايات القرن التاسع عشر عندما بدأ العلماء الأوائل في تأمل رسوم ليوناردو التقنية التي بهرت أعينهم، فقد وجدوا الأجهزة التي يعتبرونها النعمة التي جاد عليهم بها عصرهم موجودة بالفعل في رسوم ليوناردو. فقد صمم دافينشي العديد من الأجهزة والآلات بدءاً من آلات قص القماش، إلى المطارق وآلات رفع المياه والآلات صقل المرايا وقياس الطرق والمساحات. وكانت لديه قناة أن الآلة يمكن أن تتولى إصعب المهام نيابة عن الإنسان، متبعاً الأهداف نفسها التي وضعها مهندسو عصر الصناعة".

ويرى مؤلف الكتاب أن حلم الطيران كان أحد أكثر الأحلام التي داغبت خيال دافينشي على الإطلاق، إذ امتلات أوراقه -فيما يشبه الهوس- بالمشات من الرسوم عن الطيران الصناعي وعن آليات الدفع وحركة أجنحة الطيور.

يستعرض الكتاب هذه الملاحظات التي دونها دافينشي، وتاملاته المكتوبة عن تيارات الهواء، وعن القوى التي تسيطر على جسم الطائرة، وتأكيده الدائم في مذكراته أن الطيران لا يعني الرفرفة، وأنه بالإمكان صنع آلة قادرة على التحليق في يوم ما. كما يذهب ستيفان كلاين إلى أبعد من ذلك حين يورد العديد من الدلائل على أن ليوناردو دافينشي لم يكتف بوضع هذه التصاميم والرؤى فقط، بل ربما أقدم على تجربة الطيران أيضاً.

بين اهتمامات دافينشي التي تم تسليط الضوء عليها في هذا الكتاب سعياً للدروب لصنع آلات تتحرك بالتوجيه الذاتي، فيما يشبه الروبوتات اليوم. من ضمن ما جاء في الكتاب "يظهر في أحد الرسوم جبل يمتد بحيث يذكرونا وضعه بشكل رجل ممتد الذراعين، والبكرات موجودة في أماكن الأيدي والكوع والكثف، فهل كان ليوناردو يفكر بالفعل في صنع إنسان آلي؟". للإجابة عن هذا التساؤل يستعين المؤلف بواحد من أبرز المهتمين بتراث دافينشي وهو كارلو بيدريتي أستاذ تاريخ

ناهض خزام
كاتبة مصرية



كان ليوناردو دافينشي أول من وصف إشكاليات علوم الضوء، والجيولوجيا، والتشريح، وغيرها من العلوم الأخرى. ويرى الكاتب الألماني ستيفان كلاين أن تعدد مواهب ليوناردو وبراعته التي ما زالت تثير إعجابنا، يفوقان قدراته الفنية الفذة كرسام يعمل بفرشاته، كان ليوناردو عبقرية عالمية كما يقول؛ فقد كان رجلاً يكاد يعرف كل شيء، وقادراً على عمل أي شيء.

ومن أجل تسليط الضوء على هذه الجوانب الخافية من عبقرية دافينشي وضع كلاين كتابه "تراث دافينشي" الذي ترجم أخيراً إلى العربية عن المركز القومي للترجمة في مصر للترجمة المصرية ناهد الديب.

حلم الطيران

يعد ستيفان كلاين واحداً من أكثر مؤلفي الكتب العلمية شهرة حول العالم، ومن أعماله "تعويذة الحظ" و"كل شيء بالصدفة" و"الوقت" و"مذكرات الخليقة"، في هذا الكتاب الذي بين دفتيه يسبح كلاين إلى فك طلاسم تراث دافينشي، كاشفاً لنا عن محاولاته لفهم سر لوحة الموناليزا، وشارحا السبب الحقيقي وراء حلم دافينشي بالطيران، وغيرها من الأمور الأخرى التي لا تزال قيد البحث والاكتشاف.

يرى كلاين أن ليوناردو دافينشي يمثل تجسيدا لعصر النهضة لما تمتع به من مواهب ومعارف عديدة، لم تقتصر اهتمامات دافينشي، كما يقول المؤلف، على الرسم فقط، فقد كان عالم جيولوجيا وعالم نبات وموسيقياً ومعماريًا ونحاتاً، وله إسهامات خلاقية في مجالات شتى. فقد درس الطيران، ووضع تصاميم لآلات طائرة، وتوقع أن يتمكن الإنسان يوماً من التحليق في الفضاء، كما وضع تصميماً لأول إنسان آلي، وضع صمامات صناعية للقلب وحاسبا رقمياً.



الكاميرا ما زالت تشرق من القدس

لقد استشهد في لبنان بتاريخ 11 أبريل 1976 حين كان يصور إحدى المعارك في مرتفعات عين طورة، وكان قد توجه مع مجموعة من الكتاب الفلسطينيين، حاملاً كاميرته إلى مرتفعات عين طورة، وانفصل عن بقية المجموعة، وانقطع إلى الأمام ليواصل تصوير ما يحدث، فاصابته قذيفة مدف، إصابة مباشرة، وما زالت الكاميرا التي كان يصور بها لحظة استشهاده موجودة داخل صندوق زجاجي وقد اخترقتها شظايا القذيفة، ومعها علب صور فوتوغرافية لم يكن قد استخدمها بعد. ويتحدث الشاعر والإكاديمي الدكتور عز الدين المناصرة عن استشهاده قائلاً "كنت واقفاً في الشارع، وسيارة الإسعاف تمر بجانبني وتوقف أمام مكاتب الإعلام الموحد، وتوجست شراً، خاصة وأن معظم الذين يعملون في الإعلام أعرفهم، خفت أن يكون أحد معارفي قد استشهد، واستفسرت من يكون، فكانت المفاجأة عندما قالوا لي، إنه جثمان الشهيد هاني جوهرية، وفي اليوم التالي تم تشييعه إلى مقبرة الشهداء، وقد شاركت في تشييعه كما شارك محمود درويش ومعين بسيسو وسيمر نمر".

وأختم مقالتي، بما ورد في شهادة الباحث عبدالله حمودة حيث قال "بعد كل هذه السنين، ما زلت أذكر هاني وأحاديثه، فهو نكهة فلسطين التي لا يمكن نسيان طعمها، خاصة إذا كان هذا المدافع الفلسطيني، وهاني جوهرية كان وما زال مذاق فلسطين الخالد".

المسلح الفلسطيني وبدايات السينما الفلسطينية، المخرج صلاح أبوهندود الذي قال في شهادته: حين التحق هاني بحركة فتح، بعد معركة الكرامة في عام 1968 ليكمل مصوراً ميدانياً ويرافق الفدائيين في عملياتهم القتالية، استمرت علاقته به وأصبحنا على تواصل شبه يومي، في بيت أم درويش في جبل الجوفة الذي يعرف بمكتب السينما الفلسطينية، وفيه تعرفت على المخرج الفلسطيني مصطفى أبو علي وأصبحنا نتلقى في المكتب المذكور، وطموحنا آنذاك لا سقف له حيث تستمر النقاشات بيننا لعدد من الساعات، حول السينما وهمومها وقضاياها وفي مقدمتها كيف نعمل سينما فلسطينية؟

واتفقتنا على تقديم سينما مختلفة عن السائد في تلك المرحلة، سينما تقوم على أساس الجهد الجماعي، وقمنا بتنفيذ ما اتفقتنا عليه من خلال فيلم بعنوان "لا للحل السلمي"، عرضناه في عمان. وجاء في شهادة الكاتب رسمي أبو علي "تضمن أهمية هاني المصور السينمائي في أنه استطاع تصوير الجانب الجذاب والإنساني المشرف للثورة الفلسطينية وقد انتشرت صورته في أوروبا بسبب جمالها وبراعتها". كما ضم الكتاب شهادات عدد من أصدقاء هاني جوهرية، ممن زاملوه في مدينة القدس وكانوا من أصدقائه في مرحلتي الصبا والشباب، منهم الفنان التشكيلي فلاديمير تماري وإيميل ناصر ومنذر الجلال.

الإعلام الأردنية، وبدأ يرافق الفدائيين في عملياتهم القتالية. وفي عام 1968 تم تأسيس وحدة أفلام فلسطين، فقام بتصوير فيلم "لا للحل السلمي" و"شهادة الأطفال في زمن الحرب" في عام 1969، و"بالروح بالدم" في عام 1970 و"على طريق النصر" حول المدينة التعليمية لأبناء الشهداء والأسرى الفلسطينيين في عام 1975، و"المفتاح" حول رمزية مفتاح البيت الذي حمله معه الفلسطيني في مهاجره في عام 1976.

لقد وفق سليم النجار في ما التقى من الشهود وفي ما قدموا من شهادات، شملت جميع مراحل هاني جوهرية العمرية والفنية، كما شملت الشهادات الأماكن التي أقام أو عمل فيها، وممن رافقه في مرحلة الكفاح

وكانت تجربته الأولى في التصوير السينمائي، خلال عمله في قسم التصوير السينمائي بوزارة الإعلام الأردنية، إذ كان يصور "جريدة الأردن الناطقة" وبعض مناورات الجيش الأردني، وخلال عمله هذا من عام 1967 إلى عام 1969، صور عدداً من الأفلام التسجيلية، هي "الأرض المحروقة" و"زهرة المدائن" و"جسر العودة"، والفيلم الأخير تناول النزوح الفلسطيني الثاني، بعد هزيمة حزيران و"الحق الفلسطيني" حول حقوق الشعب الفلسطيني من وجهة نظر القانون الدولي. غير أنه في هذه المرحلة تحديداً، التحق بتنظيمات المقاومة الفلسطينية وأنشأ قسم التصوير في حركة فتح بالتعاون مع المخرج السينمائي مصطفى أبو علي والمصورة سلافه جاد الله التي سبق أن عمل معها في وزارة

العسكرية مع الفدائيين، فكانت أعماله صفحات جيدة من التاريخ الفلسطيني. وهو من مواليد القدس، حي القطمون، في عام 1939. ونشأ في رحاب أسرة لها اهتماماتها الثقافية، فوالده فخري جوهرية من خريجي الكلية العربية في عام 1933، وعمل مديراً لعدد من المدارس في القدس وهو من هواة الموسيقى، وكان جده محامياً، وعمه وأصف جوهرية موسيقي معروف، أما عمه توفيق فهو رسام محترف. ويقول رياض جوهرية "كان الوالد حريصاً على تثقيفنا، وفي بيتنا مكتبة متميزة، لذا نشأ هاني قارئاً من الدرجة الأولى، وكان ذا شغف بكل ما له علاقة بالسينما، أما في ميوله السياسية فقد كان في البدايات قريباً من حركة القوميون العرب".

وفي عام 1956، خلال حضوره إحدى دورات معرض دمشق الدولي، اشترى من جناح الاتحاد السوفييتي آنذاك كاميرا صغيرة، ومن ثم تعلم تجميع وإظهار الصور في البيت، وعمل مدرسا للغة الإنكليزية ومشرفاً على الوسائل البصرية، وفي عام 1964 ذهب إلى القاهرة والتحق بمعهد الفنون لدراسة التصوير السينمائي، أيامذاك كان مدير المعهد محمد كريم، وهو من أوائل المخرجين السينمائيين في مصر، ومن أساتذته في المعهد الفنانان الكبيران عبدالوهارث عسر ومحمد توفيق، كما حصل على منحة من وزارة الإعلام الأردنية لدراسة التصوير السينمائي في بريطانيا.

حميد سعيد
كاتب عراقي



بعنوان "الكاميرا تشرق من القدس" أنجز الكاتب الفلسطيني سليم النجار كتاباً مهماً، صدر عن دار هبة في عمان، يجمع بين الوثائق والنقد والاستذكار عن المصور والمخرج السينمائي الفلسطيني الشهيد هاني جوهرية، معتمداً في كتابه هذا على مراجعة وثائقية وشهادات أدلى بها زملاء جوهرية وأصدقائه ورفاقه وبخاصة شهادة شقيقه الراحل رياض جوهرية.

وحرص الكاتب على أن تشمل الشهادات التي اعتمدها في كتابه، جميع مراحل حياة هاني جوهرية وجميع المواقع التي عمل فيها، وتكاد تكون جميع هذه المواقع، على علاقة بالتصوير السينمائي والفوتوغرافي، أو كما يقول النجار نقلاً عن رياض جوهرية، لقد ولد هاني والكاميرا بين يديه.

والكتاب من وجهة نظر سليم النجار، محاولة لكتابة سيرة ذاتية فنية في آن واحد، لرائد من رواد السينما الفلسطينية وأحد مؤسسيها البارزين، وفتح ملفه الذي كان يصعب في زحمة الأحداث، إذ شكل جوهرية حالة إبداعية في اشتراكها مع التاريخ ومع الحاضر، فقد عاش في عمق المجتمع الفلسطيني بمدينة القدس وفي المهاجر حيث المخيمات، كما عرف حياة القواعد



فنان مقاوم حتى استشهد